تمت مناقشة الطالب محمد أنس سرميني في الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس الواقع في ٤ / شباط / ٢٠١٠م الموافق لـ ٢٠/ صفر / ١٤٣١هـ. من قبل الأساتذة :

الدكتور عماد الدين الرشيد عضواً .

الدكتور بديع السيد اللحام مشرفاً .

الدكتور عبد العزيز الحاجي عضواً .

وانتهت المناقشة بمنحه شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية، بدرجة جيد جداً، وعلامة /٨٤/ أربع وثمانون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جامـــــــعـــــة دمشـــق

كلـــــيـــــة الشـــــريعة

قسم الحديث النبوي وعلومه

الشَّيخ محمَّد جمال الدِّين القَاسِمي

وجُهُودُه الحَدِيثيَّة

دِراسَةٌ تحلِيليَّة

رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية

إعداد الطَّالب: محمَّد أنس سرميني.

إشراف الدكتور: بديع السَّيد اللَّحام.

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى القلب الكبير الذي رعاني والدي المهندس أبي الجود . . .

وإلى طبيبة القلوب والأجسام التي سهرت على صحتي والدتي. . .

جزاهما الله عني خيراً .

وإلى السّكن الذي أفيء إليه، حيثُ المودة والرحمة زوجتي. . .

أهدي هذا العمل المتواضع

مُحمَّد أَنَس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

m

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والصلاة على نبيه الكريم المقتدى، وعلى آله وصحبه الكرام ما هلَّ بدرٌ أو بدا. **وبعدُ** فإن الله تكفَّل بحفظ هذا الدِّين، وذلك بحفظِ القرآن والسُّنة، بأيدي رجالٍ مصطَفين من أمة نبيه محمد r ، هم العلماء العاملون، الذين تصدوا لنقل السُّنة والحديث والعلم، فتسابق الراغبون ليحوزوا على هذا الشَّرف والمزية، فمن أراد أن يكون في عداد أولئك المُختارِين، لا بدّ أن يطَّلِع على سيَرِهم، ويقتدي بهم، ويتأسى بأفعالهم. ومعلومٌ أن علم الحديث لا ينفك عن علم التاريخ والرّجال، بل هو جُزء أصيل منه، وركن مهم فيه. فلم يعدّ المحققون من يحفظ الأسانيد محدثاً ولا حافظاً إذا لم يضِف إلى ذلك علماً بالرِّجال ومراتبهم وأصنافهم.

وهذا المفهوم دفعني إلى أن أجعل رسالتي هذه في دراسة شخصيَّةٍ علميّة إصلاحيّة مهِمَّة، برزت في عصرٍ لفّه سواد الجهل والبدعة، وأشلّه ركامٌ من المواريث البالية، فأضعف ذلك نزعة التجديد والاجتهاد في نفوس الخاصة، وقبول الجديد في نفوس العامة، ولعلَّ كثيراً مما سيرد في فصولِ الرّسالة ربّما تجاوزتهُ الأمةُ المسلمة في عصرها الحاضر، ولكنَّ أنماط التفكير وأدوات البحث، وسلوكيات العلماء والباحثين، لم تزل تحتفظ بشيءٍ ليس بالهيّن من ذلك، فعسى أن تكون دراسةُ أحد شخصيات الإصلاح التي برزت في عصر قريب من عصرنا، مرقاةً لنا نحو تمام الإصلاح، وإتمام تلك المسيرة. والشيخ **جمال الدين القاسمي** عُرِفَ بالعلم واشتُهِر بالإصلاح، فكتبه قد انتشرت في الدنيا، وعلومه ومنهجه الإصلاحي أغنت المكتبة الإسلامية والخِبرات الدَّعوية بما يختصر لها مراحلَ طويلةً من مسيرتها. هذا من جانبٍ، ومن جانبٍ آخر فإن الشيخ القاسمي جعل من التجديد، والنهضة بعلوم الأمة، وخدمة الكتاب والسنة، ركيزةً أساسيةً في منهجه ورؤيته وإصلاحه، فخص أصول الدين بمكانةٍ لا تضاهيها فروعه، ورأى فيها نهضة أمةٍ غابت عن ميراثٍ وضاءٍ، وتدهور حالها في دياجيرٍ من الظلمِ، فكان له في علوم السُّنة من الرواية والمصطلح والتاريخ والجرح والتعديل رؤى ميّزت قلمَه عمّا كُتب في عصره، برز ذلك من خلال إسقاط ركائز إصلاحه وأسسه على علوم السنة، ومن توحد النظرة العامة لأصول الدين لديه، ومن ربطه بين الواقع وبين النّظر، وبين الدّرس والتطبيق. وقلّما يخلو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختيارٌ من اختيارات القاسمي العلمية الحديثية من ركيزة إصلاحية أرادَ منها أن توقِظ أموراً في أمَّته غابَت في سُبات عميق.

أهَمّية البَحث:

ولهذا فلا يماري في أهمية إفراد دراسةٍ علمية لشخصِ القاسمي وإصلاحِه وعلوم السنة عنده أحدٌ. ولأنها أجزاء ارتبطت بشخصية القاسمي ارتباطاً صميمياً، فإنه لا يصح أن تفكَّك وحدتُها أو يُجتَزَأ بعضها عند الدِّارسة، فالقاسمي ذو شخصيةٍ متوازنةٍ لا تصح دراسة جهوده في علوم الحديث، إلا بعد أن تتمَّ دراسة شخصيته عالماً، ومصلحاً، وصاحبَ مدرسةٍ ومنهجٍ تربويٍّ. وإلا فلن تكتمل الصُّورة، ولن يصل الباحث إلى نتائج حقيقية في البحث، فهي عوامل بمجموعها شكلت القاسمي العالم والمصلح.

أسُباب اختيارِ الموضُوع:

- كان دافعي إلى التَّوجُّه نحو فكرِ وإصلاح الشيخ جمال الدين القاسمي، ودراسة شخصيته وجهوده الحديثية ما سبق من فِكَرٍ علمية وأهداف إصلاحية حديثية.
- بالإضافة إلى رغبتي في دراسة شخصيته وجهوده الحديثية بإطارٍ لم يدرس من قبل، هو إطار إصلاحه وتجديده الأصولي وأثرهما في اهتمامه بعلوم الحديث والمصطلح.
- ومحصِّلُ ذلك استحقّ عندي أن يكون محل دراسة جادة علّها تردف المكتبة الإسلامية بجديد، وتنبِّه الدعاة المصلحين لما قد يفوتهم، وتثري علوم السنة بإسقاطاتٍ تقرّبها من متناول أيدي الناس، فلا تغيب في بطون الكتب أو في حلقات العلم الخاصة.

الدِّرَاسَات السَّابقة:

الشيخ جمال الدين القاسمي أُفرِدت له دراساتٌ تاريخيةٌ ووصفيةٌ كثيرة، وأخرى أكاديميَّةٌ نقديةٌ عديدة، ولكنها لم تعرضْ فكر القاسمي وإصلاحَه من خلال الرؤية التي تحدثت عنها آنفاً، ولم تفِ شخصيته العلمية الإصلاحية حقها بالتوازن في جوانبها كلّها، وإنما اختصّت كلُّ دراسة منها بجانب من شخصيته، فتحدّث ولده **د.ظافر القاسمي** عن القاسمي الأب والعالم ورجل الموقف والمعاناة، ومثله **محمد مهدي الاستانبولي** تحدّث عن القاسمي الأستاذ والمربي والداعية، وجمع بينهما **د.نزار أباظة** في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دراسته الشاملة لحياة القاسمي الاجتماعية والعلمية، ومنهم اغترفتُ سيرة القاسمي الحياتية، وآثاره العلمية. وأما الدراسات الأكاديمية فتوجّهت معظمها نحو تفسيره المشهور بمحاسن التأويل، منها: القاسمي ومنهجه في تفسيره محاسن التأويل، **لإبراهيم علي صالح**، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ومنهج القاسمي في تفسيره محاسن التأويل دراسة تحليلية ونقدية، **لعبد الرحمن يوسف الجمل**، بحث علمي لكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة. والقاسمي ومنهجه في التفسير، **لمحمد بكر إسماعيل**، المطبوع في دار المنار، بالقاهرة. كذا **د.عبد المجيد عبد السلام المحتسب**، أفرد للقاسمي جزءاً مهماً من كتابه اتجاهات التفسير في العصر الراهن، المنشور في مكتبة النهضة الإسلامية، بعمان. كذا دُرس منهج القاسمي في تقرير العقيدة في رسالة ماجستير **لمحمد أحمد حقي** في جامعة الإمام محمّد بن سعود، ويَدرُسُ الآن الجانب الفقهي عند القاسمي الباحثُ **سامي الأزهر**. وغير ذلك. و لم أجد من أفرد للشيخ القاسمي دراسة تناولت الجانب الحديثي في شخصيته، أو من ربط بين شخصيته العلمية والإصلاحية بما ستتكفل فصول هذه الدراسة ببيانه.

خطة البحث:

قسمت الرسالة إلى بابين: **الأول** يتناول حياة الشيخ القاسمي العلمية والاجتماعية، وسميتُه: "الشَّيخ مُحمَّد جَمال الدِّين القَاسِمي، حياتُه وآثارُه العِلميَّة". **والثاني** يتناول الشيخ القاسمي بوصفه محدثاً، وسميته: "جُهودُ الشَّيخ مُحمَّد جَمال الدِّين القَاسِمي الحَدِيثِيَّة". ولهذا كان عنوان الرسالة العلمي: **الشَّيخ محمَّد جمال الدِّين القَاسِمي وجُهُودُه الحَدِيثيَّة، دِراسَةٌ تحلِيليَّة.**

تضمَّن **الباب الأول** الفصول الآتية: الفصلُ الأوَّل: لمحة تاريخية عن عصر القاسمي. وفيه تحدثتُ عن أهمية دراسة العصر قبل الخوض في دراسة شخصية القاسمي. ثم عن الحياة السياسية والثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، وموقف القاسمي منها وتأريخه لها.

الفصلُ الثَّاني: جوانب حياة القاسمي الاجتماعية، (ظروفٌ وعلاقاتٌ). تحدّثت فيه عن أسرة القاسمي أصولِه وفروعه، وعن أخلاقه ومزاياه، وعن محنه، وعن رحلاته، ثم ختمت بوفاته ومراثيه.

الفصلُ الثَّالث: مرتكزات حياة القاسمي العلمية (أخذاً وعطاءً). وفيه تحدّثت عن نشأته العلمية. وعن شيوخه وإجازاته وعطائه العلمي، ثم عن تطور منهجه العلمي وتغيُّره، وأخيراً طلابه والعلاقة بينهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصلُ الرَّابعُ: القاسمي مؤلِّفاً، (منهجُه العلمي وعرضُ مصنفاتِه). عرضتُ منهجه العام في التصنيف، كما عرضتُ منهجه الخاص في النقل والجمع. ثم أفردت مبحثاً لمصنفاته في علوم السُّنة والتَّاريخ. ومبحثاً آخر لمصنفاته في باقي العلوم، كالأصول والفقه والتفسير والثقافة الإسلامية العامّة.

الفصل الخامس: القاسمي مصلحاً، (ملامح منهجه الإصلاحي، وموقفه من التيَّارات الفكريَّة). وفيه توسعت في الحديث عن معالم منهجه الإصلاحي، ثم عن موقفه من عدة تيارات فكرية أهمها المبتدعة، والسَّلَفِيَة، وأصحاب المدرسة العقلية، وموقفه من الثقافة الغربية. ثم ختمت بفكره التربوي.

وتضمَّن **البَابُ الثَّانِي**، الفصول الآتية: الفصل الأول: علوم الحديث رواية وجهود القاسمي فيها. تحدّثت فيه عن مفهوم تحمُّل وأداء الرواية وطرقها، وتوقّفت عند بعض تحقيقات القاسمي العلميَّة في نطاق علوم الحديث رواية، كتحقيقه اسم صحيح البخاري، ونسبة مسند الطيالسي إلى مؤلفه.

الفصلُ الثَّاني: علوم الجرح والتعديل، وجهود القاسمي فيها. أسهبت الكلام في رأي القاسمي في الرواية عن المبتدعة، كذا رأيه في مسألة عدالة الصحابة، ومسألة تعارض الجرح والتعديل. ثم ختمت برأيه في وجوه معرفة ثقة الراوي، وأهمها مسألة تعديل رجال الصّحيحين الذين أخرج لهم الشيخان.

الفصلُ الثَّالث: مباحِثُ مُصطَلحِ الحَديثِ وأنواعِهِ، وجهودُ القَاسمي فِيه. وذكرت أنواع علوم الحديث بالترتيب الذي سار عليه القاسمي في قواعد التحديث، فابتدأت بالحديث القدسي والحديث الصَّحِيح والحَسَن، ثم بالضَّعيفِ وأحكامِه، ثم بالمُشتَرَكِ بينَها، ثم بأَنوَاعِ الضَّعيفِ، ثمّ بالحديث المتواتر، والحديث الموضوع. وختمت برؤية القاسمي في مناهج المحدثين العامَّة، والتعارض بين الأخبار.

الفصلُ الرَّابع: دراسةٌ تطبيقيةٌ لعلومِ الحديث، في مُصنَّفاتِ القَاسمي. فتوقّفت فيه عند مصادر القاسمي الحديثية، وطرق عرضه للحديث. ومنهجه في التخريج والحكم على الرواية. ومنهجه في الاستنباط والشرح الحديثي، ومثلت لها بأمثلة كثيرة أهمها أحاديث المسح على الجوربين، وسِحر النَّبي **r**.

ثم ختمت الرسالة **بخاتمة** تضمنت أهمَّ نتائجِ البحثِ العلميّة وزبدَته، ثم ذكرت التوصيات التي رأيتها تخدِم المكتبة وأمثال هذا البحث، والبحث الأكاديمي عموماً.

ثم ألحقت بالرّسالة عدداً من **المسارد العلمية** التي وجدتها تناسب موضوع الرسالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهج البحث:

اعتمدتُ في رسالتي عدداً من مناهج البحث العلمية التي فرضتها طبيعة البحث وأهدافه، أهمها المنهج الاستقرائي، وأخذ ذلك مني جهداً كبيراً، فجمعت المادة العلمية من كتب القاسمي العامة، والحديثية منها خاصة، ومما كُتب عنه في كتب الحديث والتاريخ، وما كتب في علوم الحديث. ويدخل المنهج التاريخي والنَّقلي في هذا الجمع دخولاً أوَّلياً.

ثم قمت بعملية فرزها وتحليلها وتوظيفها، واستخراج منهج القاسمي منها ومزاياه، معتمداً المنهج الاستنتاجي. ثم اعتمدتُ المنهج التَّحليلي في إبراز الآراء التي اختارها القاسمي، وفي مناقشتها والاستدلال لها، وفي موازنتها مع أقوال أهل المصطلح وآرائهم.

صعُوبات البحث:

لا يخلو بحثٌ علميٌ جادٌ من الصُّعوبات التي تحف طريق الباحث، وتزداد الصعوبة كلما ازدادت طرق البحث ومنهجه تعقيداً وتنوعاً. ومفردات الرسالة ومناهجها التي لجأت إليها كفيلةٌ بأن تشي بصعوبة البحث ودقته. فحياة الشيخ القاسمي غنيّة بتفاصيل تستدعي تكثيفاً شديداً لتستقرّ في بابٍ واحدٍ من هذه الرسالة، كذا جهوده واختياراته الحديثية منوّعةٌ وكثيرةٌ، بما قد يفاجئ من لم يتمعّن فيها ولم يوليها حقها من الدراسة والتمحيص، ويكفي أن أشير إلى الجهدِ الشديد والوقتِ الطويلِ الذي أمضيته في تلخيص واختصار المادة العلمية الواسعة التي تجمّعت بين يدي فحسب.

الطريقة التي اتبعتها في التوثيق والفهرسة:

وثقت **الآيات القرآنية** الواردة في متن الرسالة في قوسين إلى جانب الآية. وثقت **الأحاديث الشريفة** من الكتب التسعة،(١) ومن غيرها أيضاً عندما تكون فيه فائدة، وابتدأت بذكر الكتاب والباب، ثم رقم ورود الحديث في الكتب التسعة، أو رقم الجزء والصحيفة في غيرها، ولم ألتزم بيان درجة الحديث أو الحكم عليه إلا في المواضع التي تتحقق فيها فائدة للبحث.

(١) هي التالي: صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم، وسنن الترمذي، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، وموطأ مالك، ومسند أحمد، و سنن الدارمي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في التوثيق من **الكتب والمصادر**، ابتدأت بذكر الكتاب ثم المؤلف ثم الجزء والصحيفة فقط. واجتهدت في توثيق كل نقلٍ –على كثرة ذلك- يأتي به القاسمي في الاقتباسات التي أوردها عنه في الرسالة، فنسبته إلى مكانه الصَّحيح مع ذكر الجزء والصحيفة، فإن لم أجد ذلك بيَّنتُه، كذا اجتهدت قدر الإمكان أن أحيل كل نقلٍ إلى صاحبه، فإن صعُب ذلك أشرت إلى المصدر الذي أورد ذلك النقل عنه، وبيّنت ذلك عند نقل الإحالة.

تحاشيت أن أثقل رسالتي **بتراجم الرِّجال والرُّواة** الذين ليس في ترجمتهم غرضٌ علمي أو فائدة في التوجيه أو الاستدلال، وإنما ترجمتُ لمن يحقق واحداً من تلك الأغراض، وأثبتُّ في بعض الأعلام تواريخ وفاتهم لفائدة الترتيب الزمني غالباً، وللإشارة إلى طبقتهم التي عاشوا فيها.

ثم ذيَّلتُ الرسالة **بمسارد علمية** تسهل للباحث الرجوع إلى الفائدة التي يريدها بأيسر طريق، فابتدأت بمسرد الآيات الكريمة، ثم مسرد الأحاديث الشريفة، ثم مسرد الأعلام الذين ذكروا في الرسالة، وفيه لم أورد القاسمي لأن الرسالة قامت لترجمته ودراسته، والتزمت ترجمة العلم في الموضع الأنسب للسياق، وأشرت إلى مكان الترجمة بوضع رقم الصحيفة بين حاصرتين. ثمَّ انتقلت إلى مسرد المصادر والمراجع، وختمت بمسرد الموضوعات العام.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدّم بجزيل الشكر لكل من ساهم في إغناء البحث، وشاركني في صعوباته، كذا أتقدّم بخالص الشكر والعرفان لأستاذي المشرف الدكتور بديع السيد اللحام، الذي كرّس من وقته وجهده ما ذلّل كثيراً من صعوبات هذه الرسالة، كذا أتقدم بالشكر الخالص للجنة المناقشة العلمية الكريمة، جزاهم الله عني خير الجزاء.

واللهَ أسأل أن يمنحني الإخلاص في القول والعمل، والتوفيق في البحث، والسداد في نتائجه، وأن يتقبله مني ويعدّه في ميزان حسناتي، إنه سميع قريب مجيب. وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٠/ تشرين الأول/ ٢٠٠٩م.

محمَّد أنس سرميني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البَابُ الأَوَّل:

الشَّيخ مُحمَّد جَمال الدِّين القَاسِمي، حياتُه وآثارُه العِلميَّة.

الفصلُ الأَوَّل: لمحة تاريخية عن عصر القاسمي.

الفصلُ الثَّاني: جوانب حياة القاسمي الاجتماعية، (ظروفٌ وعلاقاتٌ).

الفصلُ الثَّالث: مرتكزات حياة القاسمي العلمية، (أخذاً وعطاءً).

الفصلُ الرَّابعُ: القاسمي مؤلِّفاً، (منهجُه العلمي، وعرضُ مصنفاتِه).

الفصل الخامس: القاسمي مصلحاً، (ملامح منهجه الإصلاحي، وموقفه من التيَّارات الفكريَّة).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصلُ الأوَّل:

لمحة تاريخية عن عصر القاسمي

المبحث الأول: الحياة السياسية في عصر القاسمي، وتأثُّره بها وتأثيره فيها .

المبحث الثاني: الحياة الثقافية والتعليميَّة في عصر القاسمي .

المبحث الثالث: الحياة الدينية، وتأثير القاسمي فيها .

المبحث الرابع: الحياة الاجتماعية، وموقف القاسمي منها .

المبحث الخامس: الحياة الاقتصادية، وتأريخ القاسمي لها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد:

يبتدئ الكلام عن كل شخصية علمية بوصف الظروف والأوضاع التي نشأ فيها، واستفاد من ملامحها الإيجابية، وكابد من جوانبها السلبية، ليكوِّن دارسه الفكرة الصحيحة والتصور الدقيق الذي يحكم به على الشخصية العلمية المدروسة، فالإنسان ابن بيئته مهما كان ثائراً عليها، تحكمه أدواتها، ونظمها السياسية والمعرفية، وثقافة الناس وتطورهم الفكري والعلمي، "فمن الخطأ بمكان أن يحاسب الإنسان بمنأى عن بيئته وزمانه، لأنه ابن تلك البيئة وذلك الزمان".[1] ومن خلال تلك اللمحات السريعة أردت أن أؤكد أمرين اثنين، صعوبة التحديات التي واجهها القاسمي في دعوته الإصلاحية، وحكمته وحسن اختياره ومعالجته لتلك المشكلات المستعصية. ولذلك جعلت منهجي في الوصف التاريخي الاعتماد على عين القاسمي في رؤية الأحداث وتأريخها، وعلى قلمه في وصف الداء والدّواء، فالمراد ليس وصفاً تاريخياً محله الدارسات التاريخية والاجتماعية، وإنما فهم الظروف والأحوال التي نشأ في ظلها القاسمي وتأثر بها أولاً وأثّر فيها آخراً. وبدون ذلك تقع الدراسة في مشكلات الافتراض غير العلمي والتوسم الظني والأحكام غير المبنية على الأدلة الصادقة. ويأتي في مقدمة مكونات أي عصر المكوِّن السياسي الذي تُردُّ معظم المكوِّنات الأخرى الاقتصادية والثقافية والاجتماعية إليه، التي تكون المرآة الصادقة لما وصل إليه فكر الأمة السياسي في ذلك العصر.

المبحث الأول:

الحياة السياسية في عصر القاسمي، وتأثُّره بها وتأثيره فيها

المطلب الأول: ملامح المرحلة التاريخية للخلافة العثمانية في عصر القاسمي

عاش القاسمي في الشام في الفترة التاريخيّة من العقد السادس من القرن التاسع عشر، إلى العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي، وهذه الفترة تمثِّل امتداداً للفترة الواقعة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، عندما انسحبت الجيوش المصرية منها، التي شكَّلت بمجموع متغيراتها بداية عصر جديد، تحولت فيه نظرة الدولة العثمانية إلى أسلوب الحكم، وازداد الاهتمام بالشام ولايةً تضم فكراً نيراً

(١) جمال الدين القاسمي، د.نزار أباظة، ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومصلحين جدداً، مما أثَّر في الساحة السياسية والفكرية فأغناها بأطروحات جديدة كالحرية الفردية، وحقوق الفرد، وعدم التمييز بين أفراد الرعية،[١] والتأكيد على أهمية نشر دستور يوضح حق الحاكم وحقوق المحكوم. وتلازم هذه الأفكار الجديدة وكثرتها، جعل من الدولة العثمانية تتجاوب مع تلك المطالبات بعد وصول رجال الاتحاد والترقي للحكم وذلك بصورة إعلان الدستور العام للخلافة العثمانية عام ١٩٠٨م، والتي شكلت أولاً تغيراً مهماً في السياسة العثمانية وعلاقتها بالشام. وهذا دفعني إلى أن أتابع د.نزار أباظة في تقسيم المرحلة التاريخية التي عاشها القاسمي إلى المراحل الآتية.

أولاً: مرحلة السلاطين:

وُصِفت المرحلة الأولى للحكم العثماني آنذاك بالاضطراب السياسي، عانت فيه الدولة قلقاً ومخاوفَ من أعدائها الأقوياء في الخارج، واحتراساً واحترازاً من غليانٍ كان في الداخل نتيجة الاستبداد الذي غلَّ ألسنة الناس.[٢] وخصوصاً في أواخر ذلك العهد، إذ أغلق فيه باب التداول والحوار مع الخلافة، "فالحريات مفقودة، والصحافة مكبلة، فالأحرار مطاردون، وجرمت البحوث السياسية، فالدستور معلق والمجالس النيابية معطلة، والجاسوسية فتكت بالأبرياء".[٣] وحكم في تلك الفترة ثلاثةُ خلفاء،[٤] هم عبد العزيز الأول بن محمود (حكم من ١٨٦١ إلى ١٨٧٦م)، ومراد الخامس بن عبد المجيد (ثلاثة أشهر من ١٨٧٦م)، وعبد الحميد الثاني بن عبد المجيد (حكم من ١٨٧٦ إلى ١٩٠٩م). وفي تلك المرحلة اتهم القاسمي مراراً، ودعي إلى المحكمة للاستجواب، وفُتشت كتبه وصودر بعضها لأكثر من مرة، وعانى الاستبداد والقيد مُرّاً، إلى أن دخلت الخلافة عصرها الثاني بإعلان الدستور، على أنَّ شعوب الولايات العربية ظلت في هذه المرحلة محتفظةً بكامل الحرية في اللغة العربية وتعليمها بوصفها لغة القرآن والدين الإسلامي الذين تعتز بهما السلطنة، وقد تقلد العرب في هذه المرحلة أرفع المناصب كمنصب الصدر الأعظم، ومنصب شيخ مشايخ الإسلام،[٥] وارتبط مدى توسع نطاق الحريات في

(١) جمال الدين القاسمي، د.نزار أباظة، ١٧. عن سورية في القرن التاسع عشر، عبد الكريم غرايبة، ١٠.

(٢) مقدمة موعظة المؤمنين، عاصم البيطار، ٣٣.

(٣) جمال الدين القاسمي وعصره، ظافر القاسمي، ١٥.

(٤) الأصح في كلمة "خليفة" تذكيرها لاعتبار المعنى فيها وهو السماع، ويجوز تأنيها لاعتبار لفظها، فيقال: ثلاث خلائف. انظر مادة (خلف) لسان العرب، ابن منظور، ٨٢/٩.

(٥) جمال الدين القاسمي، د.نزار أباظة، ١٧-١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشام وتضيقه بشخص الخليفة ومحبته لأهل الشام، ففي عصر السلطان عبد الحميد الذي كان محباً لأهل الشام مجلاً لعلمائها، توسع نطاق الحريات وطالب المصلحون بحقوق العامة، مما أثّر إيجاباً في مترلة الخلافة ومكانة الخليفة في قلوب الناس. وحكم دمشق على امتداد عمر القاسمي تسعة عشر والياً، اختلفت سيرتهم عن سير من قبلهم من الولاة الذين كانوا لا يهتمون بغير جمع الأموال، ذلك لأن الدولة أخذت تبعث إلى الشام بأعاظم رجالها يتولونها، فكان فيهم المستقيم العفيف عن أموال الناس، العارف بأحوال السياسة والإدارة، وقد شهدت الشام في عهودهم شيئاً من الاستقرار السياسي والأمن بالقياس إلى الاضطرابات التي سبقت في العهود الماضية، ويذكر منهم الوالي حسن رفيق باشا ١٨٩٤- ١٨٩٥م، الذي اهتم بإعادة عمارة الجامع الأموي بعد احتراقه عام ١٣١١هـ ١٨٩٣م، كما أرخه القاسمي في شعره،[١] ومنهم حسين ناظم باشا ١٨٩٥- ١٩٠٧م الذي بعهده كانت حادثة المجتهدين التي امتُحِنَ فيها القاسمي وأترابه.[٢]

ثانياً: المرحلة التركية:

لم يكتفِ المصلحون بتلك الحريات التي كان يتعطف بها الخليفة على الأمة، وظلت مطالباتهم مستمرة بوجوب فرض دستور عام للبلاد يقوم على "قواعد العدل واحترام رأي الشورى"،[٣] وتتضح فيه الواجبات والمسؤوليات العامة للحكومة والأمة، واستطاع حزب الاتحاد والترقي أن يضم صوت هؤلاء المصلحين لصفه، ووعدهم إعلان الدستور إن وصل إلى السلطة، وفي ظل حكم السلطان محمد رشاد عام ١٩٠٨م تسلم زمام القيادة الحقيقية زعماء الحزب، فأعلنوا الدستور المنتَظَر، وهلل له الشعب وصفق، وأقيمت له الأهازيج والأفراح، وأرّخه القاسمي في كتاب دلائل التوحيد، مسترجعاً ذكرى مصادرة كراريس الكتاب، في عهد الاضطهاد، ثم تيسير طبعه في الأسبوع الذي عُمل بالدستور.[٤] واستطاع عندها "أن يبث آراءه السياسية ويجهر بها بين صفوف شباب أمته".[٥] ولكن

(١) حريق الجامع الأموي، محمد مطيع الحافظ، ١٤-١٦. والقصيدة في جمال الدين القاسمي، د.نزار أباظة، ٢٨٥- ٢٨٧.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي، د.نزار أباظة، ٢٩. عزاه إلى ولاة دمشق في العصر العثماني، صلاح الدين المنجد. ومنتخبات التواريخ لدمشق، تقي الدين الحصني، ١/ ٢٦٩. وستأتي تفاصيل تلك المحنة.

(٣) دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، ٢٠٥.

(٤) المرجع السابق.

(٥) جمال الدين القاسمي وعصره، ظافر القاسمي، ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما انجلت سحائب التغيير في الخلافة العثمانية إلا عن ظلامٍ وظلمٍ أسود، خيّب أمل المصلحين وجعلهم يترحمون على أيامٍ خلت إن لم تتسم بالحرية اتسمت بالدين. فلا يوازن ما كسبه العرب من حزب الاتحاد والترقي بالخسارة العظيمة التي ألمت بهم؛ لأن سياسة التتريك والنزعة الطورانية قلبت الموازين، وجعلت من دعاة العربية والإصلاح أعداء سياسيين خطيرين، فحزب الاتحاد والترقي "فرض اللغة التركية لغةً رسميةً لجميع الولايات، وحاربوا العربية، وأخذوا بسياسة التتريك، واعتقدوا بتفوق العنصر الطوراني".(١) وتبين أن "رجال الحكم المطلق كانوا أرحم بالعرب وأحرارهم من رجال الدستور، وأدرك رجال الإصلاح المخلصون خطأهم عندما اعتقدوا أن مساوئ المجتمع كانت بسبب السلطان عبد الحميد".(٢) ولم يخف الشيخ محمود الألوسي –صفي القاسمي وخليله- حسرته على ما كان وما حصل، في إحدى رسائله إلى القاسمي، فقال: "كنا نأمل من انقضاء سلطنة عبد الحميد فرجا مما كنا نعانيه من جوره وجور بطانته فزادت الجمعية المشؤومة - يريد الاتحاد والترقي- الطين بلة، وقصدوا طي بساط الإسلام وبلاد المسلمين".(٣) ويؤكد هذا أن في "المرحلة الواقعة ما بين ١٣١٣ و ١٣٢٦هـ، ١٨٩٥ و ١٩٠٨م، اقتصر اضطهاد القاسمي على اتهامه بالاجتهاد وتفتيش كتبه، أما في ظل الدستور فإن قاضي التحقيق استحضره ليسأله عن تهم سياسية، منها دعوى أن جمعية النهضة السورية إنما نشأت بتشويقه وزملائه، وأنهم من أركانها، وأنها تريد تشويش الأمور الداخلية، بطلب إقامة حكومة عربية، وكان جوابه فيه أنه ليس من رجال الجمعية، وأنها فيما استفاض جمعية أدبية". وشاءت مقادير الإله نجاة القاسمي من هذه المحنة.(٤)

ثالثاً: مرحلة حكم العسكر:

واستمرت الأمور على ما هي عليه من تخبّطٍ وسوء إلى ما بعد وفاة القاسمي عام ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م، التي نشبت فيها الحرب العالمية الأولى، في ٢٨ تموز ١٩١٤م، ودخلتها الخلافة في ٢٩ تشرين الأول بانضمامها إلى دول وسط أوربة: ألمانيا –النمسا- هنغاريا وحليفاتها، ضد دول الوفاق:

(١) جمال الدين القاسمي، د.نزار أباظة، ١٧-١٨. عن النور والنار في مكتب عنبر، مطبع المرابط، ٢١.

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره، ظافر القاسمي، ٢٠٢- ٢٠٣.

(٣) الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي، جمع محمد بن ناصر العجمي، ٢٣٤.

(٤) جمال الدين القاسمي وعصره، ظافر القاسمي، ٢٠٢- ٢٠٣. سيرد الكلام عن ذلك في مبحث المحن والحوادث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦١. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٦٢. مصادر الدراسات الأدبية، يوسف أسعد داغر، منشورات جمعية أهل القلم، لبنان، دط، دت.

١٦٣. مصطلح التنوير، مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث، محاضرة أعدها د.عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصباغ، مجمع الفقه الإسلامي بجـــدة، ٢٠٠٥م.

١٦٤. مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، دم، دت.

١٦٥. المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، علي القاري، حققه وراجع نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـــ، ١٩٧٨م.

١٦٦. المظاهر الاجتماعية في كتاب قاموس الصّناعات الشاميّة، ظافر القاسمي، مقال من موقع دهشة.

١٦٧. المعاصرون، محمد كرد علي، علق عليه وأشرف على طبعه محمد المصري، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـــ، ١٩٩٣م.

١٦٨. معجم الأسر والأعلام الدمشقية، د.محمد شريف عدنان الصواف، بيت الحكمة، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـــ، ٢٠٠٣م.

١٦٩. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥.

١٧٠. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م.

١٧١. معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، عبد القادر عياش، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـــ، ١٩٨٥م.

١٧٢. معجم المؤلفين المعاصرين، محمد خير رمضان، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة (٥٥)، الرياض، ١٤٢٥هـــ، ٢٠٠٥م.

١٧٣. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، ومكتبة المثنّى، بيروت، دت، دط.

١٧٤. معجم المطبوعات العربية والمعربة، جمعه ورتبه يوسف إليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، ميدان العتيبة.

١٧٥. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٤٠٣هـــ، ١٩٨٣م.

١٧٦. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ، ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م.

١٧٧. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، الحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوى، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥، ١٩٨٥م.

١٧٨. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين البيهقي، نسخة المكتبة الشاملة.

١٧٩. معرفة علوم الحديث، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـــ، ١٩٧٧م.

١٨٠. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، الحافظ عبد الرحمن السَّخاوي، دار الكتاب العربي.

١٨١. مقدمة في أصول الحديث، عبد الحق الدهلوي، تحقيق: سلمان الحسيني الندوي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـــ - ١٩٨٦م.

١٨٢. مكتب عنبر، ظافر القاسمي، المطبقة الكاثوليكية، بيروت، دت.

١٨٣. مناهج المحدثين في تقوية الأحاديث الحسنة والضعيفة، د.المرتضى الزين أحمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـــ، ١٩٩٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٨٤. منتخب التوسلات، محمد جمال الدين القاسمي، ملحق بكتاب كفاية التعبد وتحفة التزهد، عبد العظيم المنذري، إعداد يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

١٨٥. منتخبات التواريخ لدمشق، محمد أديب آل تقي الدين الحصني، المطبعة الحديثة، دمشق، دط، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.

١٨٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢.

١٨٧. منهج القاسمي في تفسيره محاسن التأويل دراسة تحليلية ونقدية، عبد الرحمن يوسف الجمل، بحث علمي لكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة.

١٨٨. منهج النقد في علوم الحديث، د.نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١٨٩. الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، دت.

١٩٠. الموطأ، الإمام مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م. بترقيم العالمية.

١٩١. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١٩٢. الموقظة في علم مصطلح الحديث، محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ط٨، ١٤٢٥هـ.

١٩٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٣٨٢ – ١٩٦٣م.

١٩٤. ميزان الجرح والتعديل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، دار الحديث، القاهرة، د:ت، د:ط .

١٩٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، قدَّم له وعلَّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٩٦. نُزهَةِ النَّظَر في تَوضِيحِ نُخبَةِ الفِكَر في مُصطَلَحِ أَهلِ الأَثَر، ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي بن محمد بن حجر، تحقيق د.نور الدين عتر، طبعة المؤلف في مطبعة الصلاح، دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠م.

١٩٧. نظرية نقد الرجال ومكانتها في ضوء البحث العلمي، د.عماد الدين الرشيد، دار الشهاب، دمشق، ١٩٩٩م.

١٩٨. نظم الدرر في رجال القرن الرابع عشر، يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، الدار العربية للموسوعات، دم، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

١٩٩. نقد النصائح الكافية، محمد جمال الدين القاسمي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، تقدمة وتنقيح وتحقيق أميمة الصواف، ٢٠٠١م.

٢٠٠. النكت على كتاب ابن الصلاح، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق ودراسة د.ربيع بن هادي عمير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٢٠١. النكت على مقدمة ابن الصلاح، الزركشي، تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج.

٢٠٢. هدي الساري مقدمة فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٢٠٣. الوعظ المطلوب من قوت القلوب، جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٠٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

المواقع الالكترونية: موقع معرفة. موقع اكتشف سوريا. موقع ملتقى أهل الحديث. موقع دهشة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً: مَسرَد المحتويات

الموضوع	الصحيفة
الإهداء.	٢
المقدمة.	٣
البَابُ الأوَّل: الشَّيخ مُحمَّد جَمال الدِّين القَاسِمي، حياتُه وآثارُه العِلميَّة:	٨
الفصلُ الأوَّل: لمحة تاريخية عن عصر القاسمي:	**٩**
الحياة السياسية في عصر القاسمي وتأثر بها وتأثيره فيها.	١٠
الحياة الثقافية والتعليميَّة في عصر القاسمي.	١٨
الحياة الدينية، وأثر القاسمي فيها.	٢١
الحياة الاجتماعية، وموقف القاسمي منها.	٢٥
الحياة الاقتصادية، وتأريخ القاسمي لها.	٢٨
الفصلُ الثَّاني: جوانب حياة القاسمي الاجتماعية، (ظروفٌ وعلاقاتٌ):	**٣٠**
أسرة القاسمي، أصولُه وفروعُه.	٣١
صفات القاسمي الخِلقية والخُلقية، وصداقاته.	٣٩
المحن التي واجهها القاسمي في حياته.	٤٧
رحلات القاسمي وأسفاره.	٥٥
وفاة القاسمي ومراثيه.	٦٠
الفصلُ الثَّالث: مرتكزات حياة القاسمي العلمية (أخذاً وعطاءً):	**٦١**
نشأة القاسمي العلمية.	٦٢
شيوخ القاسمي، والإجازات العلميّة التي حصَّلها عندهم.	٦٤
تَفرُّغ القاسمي العلمي، وعطاؤه التعليمي.	٧٠
تطور منهجه العلمي وتغيُّره، الوصف والأسباب.	٧٧
طلاب القاسمي والعلاقة التي كانت بينهم.	٨١
الفصلُ الرَّابعُ: القاسمي مؤلِّفاً، منهجُه العلمي، وعرضُ مصنفاتِه:	**٨٧**
منهج القاسمي العام في التَّصنِيف.	٨٨
منهج القاسمي العلمي في النقل والجمع.	٩٢
مصنفات القاسمي في علوم السُّنة والتَّراجم.	١٠٠
مصنفات القاسمي في باقي العلوم.	١١٣
الفصل الخامس: القاسمي مصلحاً، ملامح منهجه الإصلاحي وموقفه من التيَّارات الفكريَّة:	**١٢٧**
معالم المنهج الإصلاحي الذي تَبَنَّاه القاسمي.	١٢٨
موقف القاسمي من البدعة وأصحاب البدع.	١٣٤
ميزان السَّلَفِيَة في منهج القاسمي.	١٣٨
موقف القاسمي من المدرسة العقلية الحديثة.	١٤٠
موقف القاسمي من الثقافة الغربية.	١٤٤
فِكْرُ القاسمي الخُلقي والتربوي.	١٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit